كشف أنواع الجهل فيما قيل في نصرة السدل

لأبي الفضل

عبد الله بن محمد بن الصديق

عفا الله عنه

السدل بدعة قبح لا صلاح به
وليس فيه سوى الإعراض عن سنن
والقبض جاءت به الأخبار ثابتة
تفيد شرعته من غير ما وهن
وفيه معنى خشوع العبد ملتجئا
يرجو به فيض رب واهب المنن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الاكرمين ، ورضي الله عن صحابته والتابعين .

وبعد فان المغاربة المتأخرين ، مثل السيد محمد القادرى والسيد المهدي الوزاني والشيخ محمد الخضر الشنقيطي ، تعصبوا للسدل في الصلاة ، وأفرطوا فى التعصب له ، حتى قال بعضهم : ان القبض قيل بحرمته ، والسدل لم يقل أحد بحرمته ، وتبعهم كثير من الجهلة الاغمار ، ممن لا يميزون بين القاع والدار ، ولا بين النافع والضار ، حتى ان احدى الطوائف طلبت من امام يصلي بهم : أن يسدل فى صلاته ، فلم يقبل ، فأبعدوه عن الامامة بهم .

وليس تعصبهم مبنيا على دليل أو شبهة ، بل على عدة دعاوى ليس لها ما يسندها، وهم لجهلهم بعلم الاصول وقواعد الاستدلال ، ظنوها أدلة قاطعة للخصام ، تلزم معارضها بالعي والاحجام .

فكتبت هذا الجزء الذى سميته «كشف أنواع الجهل فيما قيل فى نصرة السدل» .

ذكرت فيه دعاواهم واحدة واحدة ، واتبعت كل دعوى بما يبطلها من قواعد علم الاصول والحديث ، وبدأت بذكر حديث في السدل لم يذكروه ، وبينت ما فيه ؟ ، ولئن كان تعصبهم لراي لا دليل له ، وهو تعصب مذموم ، فان تعصبي بحمد الله للسنة النبوية المتواترة ، وهو تعصب محمود مثاب عليه بفضل الله ، والفرق بين موقفي وموقفهم ، هو الفرق بين الحق والباطل ، وبين السنة والبدعة ، فنحن مع الحق والسنة ، وهم على الباطل والبدعة .

وحسبكم هذا التفاوت بيننا
وكل اناء بالذى فيه يرشح

وأبدأ مستعينا بحول الله وقوته فأقول :

(حديث في السدل موضوع) .

روى الطبراني عن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان اذا كبر في صلاته رفع يديه قبال أذنيه فاذا كبر ارسلهما ثم سكت ، وربما رأيته يضع يمينه على يساره ، في سند هذا الحديث : الخصيب بن جحدر ، كذبه شعبة والقطان وابن معين والبخارى والساجي وابن الجارود وغيرهم ، فالحديث موضوع ، لا يجوز العمل به .

ذكر الدعاوي
الاولى والثانية

حديث أبى حميد الساعدى فى صفة صلاة النبي صلى

الله عليه وسلم لم يذكر القبض ، فهو دليل على السدل وكل حديث لم يذكر القبض في صفة الصلاة ، يدل على

وهاتان الدعويان باطلتان جدا ، لامور :

الاول

أن عدم ذكر القبض لا يدل على عدم وجوده في الصلاة ، لما تقرر أن عدم ذكر الشيء لا يدل على عدم وجوده .

الثاني

أن السدل لم يذكر في الحديث ايضا ، فكيف يكون الحديث دليلا عليه ، وهو لم يذكره ؟!

الثالث

حاصل هاتين الدعويين ، يرجع الى تناقض واضح ، لو عقلوا ، لان عدم ذكر القبض دليل عندهم على عدم مشروعيته ، وعدم ذكر السدل دليل على مشروعيته !!! هذا تهافت !!

الرابع

عند المالكية يستحب السدل ، قال ابن عاشر في مستحبات الصلاة : سدل يد تكبيره مع الشروع .

ولم يذكر السدل في أحاديث صفة الصلاة ، مع ان المستحب هو ما طلبه الشارع طلبا غير جازم ، وليس في الاحاديث طلب السدل ، وانما فيها سكوت عنه وعن القبض ،

فاخذوا من عدم ذكره استحبابه ، أى اخذوا من العدم امرا وجوديا ، وهو باطل ، لان العدم لا يكون علة لامر وجودي .

قالوا : الاصل هو السدل ، وهذا باطل أيضا ، لان الاصل لا يدل على الاستحباب لأنه ليس بأمر ولا طلب فيه ، ونعارضهم بأن الاصل فى الصلاة هو القبض ، لانه ورد التصريح بطلبه فى عدة أحاديث ، ولانه تحقيق لمعنى قوله تعالى (وقوموا لله قانتين) أى خاشعين ، والقبض علامة على الخشوع ، والسدل ليس كذلك .

ولان من رأى القابض ، يعلم انه يصلى ، والسدل ليس كذلك ، ولان السادل يعبث بلحيته او أنفه او يحك جسده ، والقابض ليس كذلك ،

الخامس

القاعدة المقررة فى الاصول : ان المطلق يحمل على المقيد فيقيد به ، وعلى هذا فأحاديث صفة الصلاة التي لم تذكر القبض ، هي مطلقة ، فتقيد بالاحاديث التي ذكر فيها القبض ، فتكون الاحاديث منسجمة بعضها مع بعض ، لا تعارض بينها ، ولا دلالة فيها على السدل اطلاقا .

هذا هو الاستدلال المبنى على القواعد الاصوليه ، لا قولهم المبني على قواعد سطحية .

الدعوى الثالثة

السدل ناسخ للقبض ، وهى باطلة من وجوه :

الاول

ان القبض سنة وفضيلة ، والفضائل لا تنسخ ، كما قال ابن عبد البر وغيره ، وقد بينت فى غير هذا الموضع :

أن الذى ينسخ من الاحكام ثلاثة :

الواجب والحرام والمباح ، أما المندوب فلا ينسخ لانه فضيلة والمكروه تابع له ، وهذا مما يجهله كثير ممن لم يتقن علم الاصول .

الثاني

ان النسخ معناه رفع الحكم بعد ثبوته ، والذى يرفع الحكم هو الشارع ، مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، كنت نهيتكم من أجل الدافة فكلوا وادخروا ، ومثل منعه زيارة النساء للقبور ، ثم أذنه لعائشة بزيارتها ، ولا يثبت النسخ باجتهاد صحابى ، فضلا عمن هو دونه ، كما هو مقرر في علم الاصول .

وفى ارشاد الفحول: قال الصيرفى لا يقع النسخ الا بدليل توقيفي اه أي عن الشارع

وقال الشاطبى فى الموافقات : والاحكام اذا أثبتت على المكلف ، فادعاء النسخ فيها لا يكون الا بأمر محقق ، لان ثبوتها على المكلف أو لا محقق ، فرفعها بعد العلم بثبوتها لا يكون الا بمعلوم محقق اه

الثالث

ان الذين ادعوا نسخ القبض ، بنوا دعواهم على مقدمة فاسدة ، ذلك أنهم ظنوا ان حديث صفة الصلاة حيث لم يتعرض لذكر القبض ، صار معارضا لاحاديث القبض ، وضموا الى هذا ان السدل هو الاصل ، فأنتج لهم ذلك أن السدل ناسخ للقبض ، فجاءت دعواهم فاسدة ، مبنية على مقدمة فاسدة ، وهذا غاية الخذلان والعياذ بالله تعالى .

قال الامام ابن دقيق العين لا يجوز اثبات النسخ بالاحتمال وكذا قال الحافظ ابن حجر ، وهذا أمر مجمع عليه لكن الذين ادعوا النسخ لا يعلمون .

وقال ابن تيمية فى فتاواه : وما ثبت من الاحكام بالكتاب والسنة ، لا يجوز دعوى نسخه بأمور محتملة اهـ

وقال ابن القيم فى كتاب الصلاة واحكام تاركها :

وقد اتخذ كثير من الناس دعوى النسخ والاجماع سلما الى ابطال كثير من السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا ليس بهين ، ولا تترك لرسول الله صلى الله عليه وسلم سنة صحيحة أبدا بدعوى الاجماع ، ولا دعوى النسخ ، الى أن يوجد ناسخ صحيح صريح متأخر نقلته الائمة وحفظته ، اذ محال ، على الامة أن تضيع الناسخ الذى يلزمها حفظه ، وتحفظ المنسوخ الذى قد بطل العمل به ولم يبق من الدين اهـ

وقال بعض العلماء الفضلاء :

القبض والرفع مما صح من سنن
عن الرسول بلا نسخ ولا وهن
فلا تكن يا صحيح العقل متبعا
آثار اشياء لم تخلق ولم تكن

الدعوى الرابعة

السدل عمل أهل المدينة ، وهي باطلة ايضا من وجوه

الاول

ان هذا العمل لم ينقله أحد ممن تخصص فى نقل مذاهب الائمة ، مثل الترمذى وابن المنذر وابن جرير الطبرى وابن حزم وابن قدامة المقدسي والنووى ، وانما نقله الصاوى فى حاشية أقرب المسالك عن مجهول ولم يعتمده لانه حكاه بصيغة التضعيف ، وهي وقيل .

الثانى

أن عمل اهل المدينة الذى هو حجة عند المالكية ،اجماعهم ولم ينقل السدل بسند صحيح الا عن سعيد بن المسيب فأين اجماعهم ؟

الثالث

أن المنقول عن الخلفاء الاربعة فمن بعدهم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين بالمدينة الى عهد مالك ، هو القبض ماعدا سعيد بن المسيب كما سبق .

الرابـع

ان المسائل التى عمل فيها مالك بعمل أهل المدينة عددهـ تسعون مسألة ، ليس فيها مسالة السدل ولولا خوف الاطالـة والاملال ، لذكـرتها بتمامها ، وقـد ذكرها صديقنا العلامـة السيد محمد علوى المالكى فى كتابه فضل الموطأ .

الخامـس

قال العلامة السنوسي في كتابه ايقاظ الوسنان : وقـد لهج المتأخـرون من المالكية بترجيـح القول والرواية بمجـرد وجودهمـا فى المدونة ولو خالف الكتـاب والسنـة الصحيحـة المجمع علـى صحتها كمـا في مسألة سـدل اليدين فى الصـلاة وردوا الاحـاديـث السالمة من المعـارضة والنسخ وتـركـوها لاجل رواية ابن القاسم فى المدونة عن مالك ، مع أن روايـة القبـض ثابتـة عن مالك وأصحـابه بروايـة ثقات اصحابـه وغـيـرهـم اهـ

السـادس

ترجيح متأخرى المالكية لـرواية ابن القاسم فى السـدل ، علـى روايـة اصحاب مـالك عنه سنيـة القبض ، مخالف لمـا تقرر في علم الاصول والحديث . فان القاعـدة المقـررة ، أن الثقـة اذا روى ما يخالف روايـة أوثق منه او اكثر عـددا ، كانت روايتـه شاذة ضعيفة ، فروايـة ابن القاسم بحكم هـذه القاعـدة ، مـــردودة .

قال ابـن عبد البـر : وروى أشهب عن مـالك : لابـأس

بالقبض فى النافلة والفريضة ، وكذا قال أصحاب مالك المدنيون وروى مطرف وابن الماجشون ان مالكا استحسنه، وقال أيضا : لم يأت فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم خلاف ، وهو قول جمهور الصحابة والتابعين ، وهو الذى ذكره مالك فى الموطأ ، ولم يحك ابن المنذر وغيره عن مالك غيره اه فأين عمل أهل المدينة ؟!

الدعوى الخامسة

تضعيف حديث الصحيحين فى القبض ، وهى باطلة جدا

أما اولا : فان الطعن فى حديث الصحيحين ، خرق للاجماع ، وخرق الاجماع حرام ، يعصى فاعله ومرتكبه . قال الامام النووى فى شرح مسلم : اتفق العلماء على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز، الصحيحان للبخارى ومسلم ، وتلقتهما الامة بالقبول اه

ومثله فى اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ، وعمدة القارى فى شرح البخارى للعينى وارشاد السارى فى شرح البخارى للقسطلانى وقال الحافظ العراقى فى الالفية :

وارفع الصحيح مرويهما
ثم البخارى فمسلم فما
شرطهما حوى فشرط الجعفى
فمسلم فشرط غير يكفى

وأما ثانيا : فان تضعيف حديث القبض فى البخارى ، تضعيف للموطأ ، لان البخارى روى الحديث من طريق مالك ،

وهو فى الموطا ، وكتاب الموطا عظيم القدر ، تلقته الامة بالقبول ، قال الامام الشافعى : ما على ظهر الارض كتاب بعد كتاب الله ، أكثر صوابا من كتاب مالك .

وقال القاضى عياض : لم يعتن العلماء مثل اعتنائهم بكتاب الموطأ ، وذكر مما كتب عليه نحو تسعين كتابا .

فتضعيف حديث رواه مالك والبخارى ، وقاحة كبيرة مع كونها خرقا للاجماع .

وأما ثالثا فان الامام النووى قال فى شرح البخارى ما ضعف من حديث الصحيحين مبني على علل ليست بقادحة اه .

وأما رابعا : فان لفظ حديث سهل بن سعد في البخارى والموطأ : كان الناس يؤمرون ان يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه اليسرى فى الصلاة ، قال أبو حازم : لا اعلمه الا ينمى ذلك الى النبي صل الله عليه وسلم اه

قال الحافظ : هذا حكمه الرفع ، لانه محمول على أن الآمر هو النبي صل الله عليه وسلم

واعترض الداني فى أطراف الموطأ فقال : هذا معلول ، لانه ظن من أبي حازم ورد بأن ابا حازم لو لم يقل : لا أعلمه الى اخره ، لكان فى حكم المرفوع ، لان قول الصحابي: كنا نؤمر بكذا ، يصرف بظاهره الى من له الامر وهو النبى صلى الله عليه وسلم ، لان الصحابي في مقام تعريف الشرع ، فيحمل على من صدر عنه الشرع ، ومثله قول عائشة : كنا نؤمر بقضاء الصوم ، فانه محمول

على أن الآمر بذلك هو النبي صلى الله عليه وسلم ، واطلق البيهقي : أنه لا خلاف في ذلك بين اهل النقل ، وقد ورد في سنن أبي داود والنسائي وصحيح ابن السكن شيء يستأنس به على تعيين الآمر والمأمور، فروى عن ابن مسعود قال : رآني النبي صلى الله عليه وسلم واضعا يدي اليسرى على يدي اليمنى فنزعها ووضع اليمنى على اليسرى ، قيل لو كان مرفوعا ، ما احتاج أبو حازم الى قوله : لا اعلم الخ ، والجواب : أنه اراد الانتقال الى التصريح ، فالاول لا يقال له مرفوع ، وانما يقال له حكم الرفع اه كلام الحافظ ابن حجر . قلت : تعليل الداني للحديث بأنه موقوف غفلة منه، لان قواعد مالك التي بنى عليها مذهبه : ان قول الصحابي حجة ، وهو مذهب أبي حنيفة ايضا . فالحجة بقول سهل بن سعد ، ثابتة على الاحتمالين ،

وأما خامسا : ففي صحيح مسلم عن وائل بن حجر : انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم حين دخل في الصلاة كبر ثم التحف بثوبه ثم وضع يده اليمنى على اليسرى الحديث، ضعفه الخضر الشنقيطي وهو أشد المتعصبين للسدل تعنتا ، بأن العلماء ذكروا ان في صحيح مسلم أربعة عشر حديثا فلعل هذا الحديث منها

قلت : هذا تضعيف بالترجي، ولم يصح ترجيه من جهة ان تلك الاحاديث أجاب عنها الحفاظ وبينوا اتصالها وسلامتها من الانقطاع ومن جهة أن الامام النووى والسيوطي وغيرهما عدوا تلك الاحاديث واحدا واحدا وليس فيها حديث وائل المذكور ، ومن جهة ان ابن خزيمة روى في صحيحه

من غيــر طريق مسلم عــن وائــل بن حجر ، قــال : صليــت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده اليمنى على يــده اليســرى على صــدره ، فــذهب تضعيــفه هبــاء منثــورا

الدعــــوى السادســـــة

ذكر صــاحب الــرحلة المراكشــية حــديثا عن النبى صــلى اللــه عليــه وسلــم قال فيــه «كأنى أنظــر الــى احبار بنــي اسرائيــل واضعــى ايمانهم عــلى شمائلهم في الصلاة وادعــى أنــه ذم للقبض بكونه مــن فعل بنــي اسرائيل ، قلت : هــذا الحــديث رواه ابن ابى شيبة فى المصنف قــال : حدثنا وكيــع عــن يوســف بــن ميمــون عن الحسن مرسلا . فهو حــديــث ضعيف ، ورده بمــا ذكر وقاحــة شديدة لاسيما من شخــص يدعى نصرة السنة ويدعــو الى العمل بها . فالحديث المذكــور بيان لاتــفاق شرائــع الانبياء فى القبــض ، روى ابن ابــى شيبة عــن أبــى الدرداء قال : مـــن اخلاق النبيين وضـــع اليمنى علــى الشمال في الصــلاة ، وأحــبار بنــي اسرائــيل اتباع موسى ومن بعده من الانبياء .

وذكر القرطبى وغيــره أنه اذا بلغنــا شرع من قبلـــنـــا على لســان الرســول أو لسان من اسلــم كعبد الله بن ســلام ، ولم يكن منسوخا ولا مخصوصا ، فهو شرع لنا ، وهو المقـــرر عنـــد المالكيـــة .

الدعــوى السابعــــة

روى مالــك عن عبد الكريم بــن أبــى المخــارق البصــرى انه قال : من كــلام النبوة اذا لم تستحيــي فافعل ما شــئت ،

ووضع اليدين احداهما على الاخرى، وتعجيل الفطر والاستيناء بالسحور قالوا هـذا الاثر ضعيف، وعبد الكريم بن أبي المخارق متروك، قلت : ثبتت شواهد تقويه وتؤيد معناه .

ففي صحيح البخاري عن ابى مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذ لم لم تستحي فاصنع ما شئت»

وروى الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (انا معاشر الانبياء امرنا بتعجيل فطرنا وتأخير سحورنا وان تضع ايماننا على شمائلنا فى الصلاة» وروى الطبراني عن ابي الدرداء وابن عبد البر عن أبي هريرة رفعه «ثلاث من اخلاق النبوه تعجيل الافطار وتأخير السحور ووضع اليمين على الشمائل فى الصلاة» ورواه سعيد بن منصور عن عائشة، وروى الطبرانى عن يعلى بن مرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ثلاث يحبها الله عز وجل تعجيل الافطار وتأخير السحور وضرب اليدين احداهما على الاخرى فى الصلاة»

الدعوى الثامنة

ان السادل يشبه الميت وهو أقوى في تحقيق الخشوع . وهذه حكمة ميتة ، لا رواج لها في الميدان العلمي ، واليكم حكمة مشروعية القبض ، على لسان العلماء، قال القاضي أبو بكر بن العربى فى شرح الترمذى : والحكمة فيه – اى القبض – عند علماء المعانى : الوقوف بهيئة الذلة

والاستكانة بين يدى رب العزة ذى الجلال والاكرام كأنه اذا جمع يديه يقول : لا دفع ولا منع ولا حول أدعى ولا قوة ، وها أنا في موقف الذلة فأسبغ على فائض الرحمة اه

وقال الامام الرازى في تفسير قوله تعالى (فصل لربك وانحر) روى عن علي بن أبي طالب : انه فسر هذا النحر بوضع اليدين على النحر في الصلاة ، وقال : رفع اليدين قبل الصلاة عادة المستجير العائذ ، ووضعهما على النحر ، عادة الخاضع الخاشع ، قلت : روى ابن ابى شيبة والبخارى في التاريخ والحاكم والبيهقى في السنن عن علي بن أبي طالب فى قوله تعالى (فصل لربك وانحر) قال : وضع يده اليمنى على وسط ساعده اليسرى ثم وضعهما على صدره فى الصلاة .

وقال الزرقانى في شرح الموطأ : قال العلماء : الحكمة في هذه الهيئة أنها صفة السائل الذليل ، وهو امنع من العبث وأقرب الى الخشوع ، ومن اللطائف قول بعضهم : القلب موضع النية والعادة أن من حرص على حفظ شيء جعل يديه عليه اه وهو عند الحافظ في فتح البارى ، ونختم هذا الجزء بمسائل :

الاولى

قال العلامة المحدث السيد محمد بن جعفر الكتانى في نظم المتناثر من الحديث المتواتر : أحاديث وضع اليدين احداهما على الاخرى فى الصلاة ، عن سهل بن سعد الساعدى ووائل ابن حجر الحضرمي وعبد الله بن مسعود

وعلي بن أبى طالب وهلب الطائى وابن الزبير وابي هريرة وجابر بن عبد الله والحارث بن غطيف الثمالى ويقال انه غضيف بن الحارث بالضاد المعجمة وعمرو بن حريث المخزومي ويعلى بن مرة الثقفى وعبد الله بن عمر وأبي الدرداء وحذيفة وعائشة وابن عباس وآنس وشداد بن شرحبيل ومعاذ بن جبل وسفيان الثورى عن غير واحد من الصحابة ، ومرسل أبي امية عبد الكريم بن ابى المخارق وطاوس والحسن البصرى وعطاء بن أبى رباح وابراهيم اهـ

وكذا نص الحافظ السيوطى على تواتر أحاديث القبض . وقال الخضر انشنقيطى المتعنت : والمدعي عندنا هو النسخ ، لا أنه غير مرفوع ، لانه وارد من طرق عديدة يحصل من مجموعها العلم برفعه اهـ وهذا اعتراف منه بتواتر حديث القبض ، لان حديث الاحاد لا يفيد العلم ، ثم ناقض نفسه فقال : مع آنا معاشر المالكية لا نقول ان القبض لم يثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بل نعترف بأنه ثبت عنه عليه الصلاة والسلام لكثرة رواته عنه صلى الله عليه وسلم وان كانت ضعيفة ، ولكنا نقول انه منسوخ بالارسال فكيف يقول : يحصل العلم من مجموعها برفعه ، ثم يقول : وان كانت ضعيفة ؟ هذا تناقض ، والمبطل يتناقض . ثم قال أيضا : ان هذا النسخ ليس المراد به النسخ المتعارف عند أهل الاصول الذى هو الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا مع تراخيه عنه اهـ وانما المراد به نسخ الاجتهاد وهو عبارة عن تضعيف المجتهد ما عارضه عنده معارض قوى

في اجتهــاده وان كــان المضعف عــنده صحيحا فى نفســه اه وهــذا النســخ الاجتهــادى باطل أيضا ، لانه مبنــي علــى ان حــديث صفة الصــلاة الخالــى عــن ذكــر القبض ، معارضــا للاحاديث المصرحة بالقبض وهذا فهم باطل ، لانه ليس بيـــن الحــديثين تــعارض ، بل هـــما من قبيــل المطلق والمقيــد ، كمــا مــر بيانــه .

الثـانيـة

قال القاضي عبد الوهاب : رواية ابن القاسم عن مالـــك فى التفــرقة بيــن الــفريضة والناقلــة في وضع اليمنى عــلى اليســرى ، غيــر صحيحة ، لان وضــع اليمنى على اليســرى انــما اخــتلف هل هــو مــن هيآت الصــلاة أولا ؟ وليس فيــه اعتــمــاد فيفــرق فيــه بيــن الفــريضة والنافــلة اه نقــله الباجــى عــنــه

وروايــة ابــن القاســم ، عليها اعتمــد من ادعى النســخ الاجتهــادى وغيــره، وقــد تبين أنها غير صحيحة ، فما بنــي عليها غير صحيح بالضرورة ، وبالله التوفيق .

الثالثـة

سبق ذكــر دعواهم ان الســدل هو الاصل ، وبينا بطلانــه فيما مر ، ونبين بطلانه هنا بطريق آخر ، فنقول : الاصـــل عدم التكليف اطلاقا ، ثم جاءت الشريعة بالتكاليف الناقلـــة عن الاصــل . وبنــى العلمــاء عــلى ذلــك انــه اذا تعــارض خبران أحدهما مقــرر لــلاصل ، والاخر ناقــل عنه ، يرجــح

الناقل ، قال الشوكاني فى ارشاد الفحول ، في الترجيح بحسب المدلول ! وهو أنواع : النوع الاول : انه يقدم ما كان مقررا للاصل والبراءة على ما كان ناقلا ، وقيل العكس ، واليه ذهب الجمهور ، واختار الاول الفخر الرازى والبيضاوى والحق ما ذهب اليه الجمهور اه وكذا فى جمع الجوامع ، قال المحلى : لان فيه زيادة على الاصل ، وقال ابن عرفة ، قول ابن الحاجب : تقدم الناقلة على المستصحبة هو قول مالك فى المدونة اه

وقال ابن القيم : لان أحكام الشرع ناقلة عما كانوا عليه اه فلو فرض ان حديث صفة الصلاة ، مقرر للسدل الذى هو الاصل ، وجب تقديم حديث القبض عليه لانه ناقل عنه، ومن جهة أخرى : لو اعتبرنا حديث صفة الصلاة الساكت عن القبض نافيا له كان الحديث المصرح بالقبض مثبتا له والمثبث مقدم على النافى كما تقرر في علم الاصول .

الرابعة

قال القادرى فى ترجيح السدل : ان القبض قد قيل بحرمته ، بخلاف السدل ، وهذا غش وتدليس ، لجأ اليه لعلمه بأنه مبطل ، والا فهو يعلم ان أحدا من اهل السنة لم يقل بذلك وانما قاله الروافض الامامية ، وهى فئة ضالة كما هو معلوم واستدلوا فيما قالوه الى حديث موضوع ، ذكره القاضى النعمان الشيعى في كتاب دعائم الاسلام ، جاء فيه : لا تكفروا فى الصلاة كتكفير اليهود، وحملوها على القبض، وهذا خطأ منهم فى فهم

ما استدلوا بــه، لان التكــفير معــناه : انحناء الانســان ويطاطيء راســه قريبا من الركــوع، وفي الحديث : لما ذهب عمرو بن أمية الى النجاشى رأى الحبشة يدخلون عليه مــن خوخة مكفرين أى راكعين ، فولى ظهره ودخل ، ونعوذ بــالله من محاربة السنة الى هذا الحد الممقوت ، ونقول فى نقــيض ذلــك : أن الشوكــاني قــال في نيــل الاوطار بــوجــوب القبــض واحتج له بأدلــة قوية أصولية ، ويراجــع كلامــه فــى ص 410 ج 2 طبعــة الحلبى الاخيــرة ، فالسدل على هــذا القول، حرام لانه ترك للواجب ، بل ربما يكون مبطلا الصلاة ، وبالله التوفيق .

الخامســـة

الائمــة الذيــن اعتبروا القبض مــن سنن الصلاة وهيأتهــا استنادا الى الاحــاديث المتواترة ، وهم أبو حنفية والشافعــى وأحمد بن حنبل شيخ الحفاظ والثورى والطبرى وابن حــزم وابــن عبد البر وابــن الــعربــى وغيــرهم كثير ، هل كــان هؤلاء كلهــم لا يعــرفون ما فى أحــاديث القبــض من ضــعف مزعــوم ، ونــسخ موهــوم ، حتى جــاء الخضر الشنقــيطى ، فعــرف ما لــم يعرفوه ، وبيــن ما جهــلوه ، مع انه ليس مــن أهــل الحــديث فى قبيــل ولا دبيــر ، فالــى الله المشتكــي ، واليه المصيــر .

الســادســة

نقول لهؤلاء المقلدة الذين جدوا فى نصرة السدل ، وجهدوا في الــدفاع عنه، حــتى خرجــوا الى حد التــعنت المذمــوم : أريحوا انفــسكم ، فكلامكــم غير مسمــوع ، وهذركم غيــر

مقبول، لسبب واضح وان خفي عليكم : انكم مقلدة ، ووظيفة المقلد أخذ قول امامه، وليس له ان يستدل ويحاجج ويرجح ويضعف ، هذه وظيفة المجتهد ، فان فعلها المقلد مثلكم ، كان غاصبا لمنصب المجتهد .

والمقرر فى آداب البحث والمناظرة ـ وهو علم الجدل ـ ان الغاصب لا يسمع قوله ، فكلامكم ايها المقلدة مرفوض جملة وتفصيلا .

السابعة

قال الشيخ عليش فى شرح مختصر خليل ، ممزوجا كلامه مع المتن : وهل كراهته اى القبض فى الفرض لقصد الاعتماد اى الاستناد به ، وهذا تأويل عبد الوهاب وهو المعتمد ، فلو فعله للاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم او لم يقصد شيئا ، فلا يكره ، ويجوز فى النفل مطلقا لجواز الاعتماد فيه بلا عذر اه فصرح باستحباب القبض اذا لم يقصد به الاعتماد ، ثم انتكس فى فتاويه فصرح بكراهة القبض ، وانتصر للسدل ببعض الدعاوى التى مر بطلانها ، وهذا منه موقف مزرى ، لا يليق بأهل الانصاف . وأخبرني أخي ابو الفيض رحمه الله عن سبب هذا الموقف منه : انه كراهية للعلامة الامام السيد محمد بن علي السنوسي الذى اظهر فى جغبوب وطرابلس الدعوة الى السنة ، مع نشر الطريقة فتحول الناس اليه ، وانصرفوا عن عائلة عليش التى كانت مشهورة هناك بالتصوف ، وانقطع ما كان يأتيه من تحف وهدايا ، فانتصاره لم يكن لله، سامحه الله . توفي السيد السنوسي سنة 1276، والشيخ عليش سنة 1301

الثامنة

أخبرني أخي أيضا ان بعض المغاربة المتعصبين للسدل ، احتج لكراهة القبض بقول الله تعالى في صفة المنافقين (ويقبضون أيديهم) وهذا استدلال طريف ، يصح ان يذكر في أخبار المغفلين ، ومرة اخرى قال لبعض المغاربة : السدل لم يكن معروفا عند السلف ، ولا ورد عنهم ، فكيف تقولون باستحبابه ؟ فرد عليه بحماس بل في سنن أبي داود : حديث نهي عن السدل ، فقال له أخي : فهو حجة عليك ، لكن السدل هنا معناه سدل الثوب . وأما السدل الذى هو خلاف القبض ، فاسمه عندهم : الارسال أو ارسال اليدين . والحاصل ان المغاربة عشقوا السدل ، وهاموا به حتى قال قائل منهم : لو قال لي النبي أقبض لا اقبض ، هذا وهو يصلي ، وقد حج ويعمل اعمالا خيرية ولكنه الخذلان نسأل الله السلامة والعافية .

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

تم تحريرا في الخامس من شهر رمضان المعظم سنة1407 هـ